قضيـــة التصوف

(٢)

المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي

بقلم
الدكتور عبد الحليم محمود

يطلب من
دار الكتب الحديثة
١٤ شارع الجمهورية - تليفون ٩١٦١٠٧
لصاحبها توفيق عفيفي

دار النصر للطباعة
أحمد حمدي أحمد شعبان
١٣ شارع سعد الله
الدرب الأحمر – القاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذا الكتاب :

لقد اضطررت إلى كتابته اضطراراً ، لقد حملت على تأليفه حملا ، وما كان لى فى تحديد زمن كتابته من إرادة حرة أو اختيار يبيح لى التأجيل الطويل .

وسأذكر قصة تأليفه ، سواء أسخر الناس منها أم لم يسخروا ، وسواء أصدقوها أم أنكروها :

إننى أروى هنا ماوقع لى شخصيا ، أرويه كما حدث ، دون زيادة أو نقص . وما من شك فى أن مثله ، بل وأغرب منه ، يحدث كل يوم ، ومع ذلك فإن المنكرين والشاكين والساخرين لا يزيدهم ذلك إلا شكا وإنكاراً واستمراراً فى السخرية .

فلنصرف النظر عنهم ولنرو الأمر كما حدث :

منذ أكثر من خمس عشرة سنة كنت فى زيارة أحد الأصدقاء ، وأخذ الحديث مجراه فى نواح عدة ، ثم تطرق إلى أبى الحسن الشاذلى .

وكنت فى ذلك الوقت أجهل الكثير عن هذا القطب الكبير ، كنت أسمع اسمه فى كل مكان ولكن الظروف لم تكن قد أتاحت لى بعد أن أتصل به اتصالا يزيد على سماع الاسم إلا قليلا .

وسألت الصديق عما إذا كان عنده من المراجع ما يعطيني صورة موجزة صادقة عن الشيخ تزيل بعض الجهل به .

وقدم لى الصديق كتاب الأستاذ السندوبى عن أبى العباس المرسى ، وذلك لأن المؤلف كتب فيه عن أبى الحسن الشاذلى صفحات عدة ، ولم يكن عند الصديق غيره للتعريف بأبى الحسن .

وأخذت فى قراءة ما كتبه الأستاذ السندوبى فوجدت فى نفسى رغبة ملحة فى أن أزداد معرفة بالشاذلى ، وفى أن أكتب عنه إذا يسر الله ذلك .

وأخذت أسأل عن المراجع هنا وهناك ، ووجدت فى دار العشيرة المحمدية كتاب « المفاخر العلية » لابن عياد مخطوطا بقلم الشيخ العروسى نفسه ، بخط جميل ، على ورق جميل فاخر ، وقد راجعه الشيخ بعد كتابته وأثبت ما نسيه ، وصحح ما أخطأ فى نقله ، ولم يبخل فضيلة رائد العشيرة المحمدية على به .

ووجدت فى الدار أيضا الكتاب النادر كتاب (دُرَّة الأسرار) وهو من أنفس المراجع عن أبى الحسن الشاذلى ، استقى فيه مؤلفه أخبار أبى الحسن عمن التقوا به مباشرة ، وعن أصحاب أصحابه .

ولقد سافر من أجل ذلك إلى عدة أقطار ، وبين فى مقدمة كتابه كيفية جمعه إذ يقول :

« وكان من جملة منن الله سبحانه على ، وعلى من سلف لى ، هو تتبع ما لسيدنا الشيخ الولى الصديق العارف المحقق الغوث القطب الشريف الحسنى أبى الحسن على المعروف بالشاذلى من الآثار ، وتقييد ما له من الدعوات والأذكار .

وكنت أطلبها وأجهد فى جمعها ، وأصرف الرغبة فى التوجه إلى من عرف بها .

فمنها ما أخذته تلقيا بتونس من سيدنا الشيخ الصالح أبى العزائم ماضى ابن سلطان ، تلميذ سيدنا الشيخ أبى الحسن وخادمه .

ومنها ما أخذته بأرض المشرق ، من سيدنا الشيخ أبى عبدالله محمد ، المدعو بشرف الدين ، ولد سيدنا الشيخ الصالح ياقوت الحبشى ، رضى الله عنه .

ومنها ما أخذته عن غيرهم من معتقدى طريق الشيخ ، وأصحاب أصحابه من أهل المشرق والمغرب ، حتى اجتمع عندى من ذلك ما يبهج سماعه ، ويعز اجتماعه » اهـ .

ولم تبخل على العشيرة المحمدية أيضا بهذا الكتاب النادر .

وأخذت — مع الزمن — استكمل المراجع ، فكان من أهمها كتاب « لطائف المنن » ، فى مناقب الشيخ أبى العباس وشيخه أبى الحسن ، تأليف ابن عطاء الله السكندرى .

وهو تلميذ أبى العباس المرسى أكبر تلاميذ أبى الحسن والخليفة بعده ، وقد حصلت على الطبعة المصرية حينئذ . .

واستغرقت فى القراءة والدراسة فترة من الزمن ، وكتبت فى مجلة الأزهر مقالا بعنوان « أبو الحسن الشاذلى ومعركة المنصورة » .

ثم صرفتنى الصوارف ، وطويت صحف أبى الحسن ، وشغلت بأمور أخرى ، ومضت الأيام والسنون وصحف أبى الحسن مطوية . .

حتى إذا كانت سنة ١٩٦٢ دعيت إلى تونس أستاذا زائرا ـ لمدة شهر ـ بجامعة الزيتونة ، فتجددت عندى الذكريات عن أبى الحسن ، وأخذت أتنسم عبيره فى تونس ، لقد صعدت إلى الجبل الذى كان يتعبد به ، ودخلت المغارة التى كان يعتكف بها ، وهى مغارة تتسع فى المبدأ لمجموعة من الناس ، ثم ينزل بها الإنسان فيصل إلى مكان يتسع لأفراد قليلين ، وينزل فيها من جديد حتى يصل إلى المكان الأخير الذى لا يتسع إلا لشخص واحد ، ونزلت إلى نهايتها ، وجلست خاشعا متعبدا حيث كان يتعبد أبو الحسن ، وحيث كان يقضى الساعات الطوال ليلا ونهارا ، وحيث كان يخلو — فريدا — بربه متضرعا ، يغلبه الشوق ، وتغمره المحبة ، ويعمر قلبه اليقين .

وشعرت فى المغارة بطمأنينة النفس ، وبالسكنية تملأنى ، وبتجمع خواطرى بصورة عجيبة ، وبالتركز الذهنى الذى يندر ويعز وجوده .

وترددت على المغارة فى أعلا الجبل .

وفى كل مرة أزور فيها المغارة : تتردد ذكريات الكتاب على ذهنى ، والصحف التى طويت ، وتتجدد مع ذلك الرغبة فى الكتابة عن أبى الحسن .

ومع ذلك بقيت الصحف مطوية . بيد أن المراجع عن أبى الحسن قد ازدادت فها أنا أجد طبعة تونسية لكتاب « لطائف المنن » .

وها هو ذا شيخ الجامع الذى فى أعلا الجبل عند المغارة يزودنى بأحزاب أبى الحسن التى طبعوها فى تونس .

وها أنا ذا أحضر الحضرات الشاذلية فى المكان نفسه الذى كان يقيمها فيه أبو الحسن رضى الله عنه .

وفى هذه الفترة كان الأستاذ على سالم عمار ينشر دراسة مستفيضة مرواة فى جزأين عن أبى الحسن .

كل ذلك جعل عدتى للكتابة عن أبى الحسن تزداد عتادا ، وتزداد قوة . . ولكن الصحف ماتزال مطوية .

ثم كانت ملابسات عديدة ، وظروف متناسقة ، جعلتنى آخذ الطريق الشاذلى ، وأندمج فى جو المريدين ، وأواظب على الأوراد والأذكار الشاذلية ، ومكثت كذلك إلى أن كان شهر مارس سنة ١٩٦٤ .

كنت فى ليبيا أستاذا زائرا للجامعة الإسلامية هناك . وكنت قد انتهيت من إلقاء المحاضرات فى البيضاء ، وبنى غازى ، وزليطن ، وطرابلس ، وكنت قد اتخذت الإجراءات للسفر حاجا إلى بيت الله الحرام .

وبينا أنا فى طرابلس انتظر أن أبحر منها إلى الأراضى المقدسة إذا بى أرى — فيما يراه النائم — شخصا أعرفه — اسمه «توفيق» ، أراه فى ملابس غير ملابسه العادية ، أراه يلبس ملابس شرطى ، ويمسك بيده قيدا ويقول لى آمرا :

أكتب عن أبى الحسن الشاذلى .

وتلكأت فى الاستجابة ، وأردت أن أهمل الموضوع ، وأن أتحدث معه فى شىء آخر ، فإذا به يهدد بوضع القيد فى يدى ، وإذا به ينذر ويتوعد ، فقلت له :

هل معنى ذلك أن أترك ما بيدى من أعمال لأكتب عن أبى الحسن الشاذلى ؟ فقال :

نعم : اترك ما بيدك من أعمال واكتب عن أبى الحسن ، ورضى «توفيق» حينما وعدت بالكتابة . . واستيقظت .

ويسر الله أمر الحج والحمد لله .

وحينما عدت إلى القاهرة حاولت — مع وضوح الرؤيا فى ذهنى ومع تذكرى لها — أن أرجىء أمر الكتابة عن أبى الحسن . لماذا ؟ لست أدرى .

وأخذت فى دراسة سهل بن عبد الله التسترى ، فقد كنت موطنا النفس على أن أعطى لطلبة كلية أصول الدين محاضرات عن التفسير الصوفى ، وأن آخذ الأمثلة من سهل بن عبد الله ، ورأيت أن من الخير أن يكون بين يدى الطلبة كتاب عن هذا الصوفى الذى لم ينل حظه من الدراسة .

وبينما أنا سائر فى البدايات الأولى من الدراسة والكتابة : إذا بعاصفة من هذه العواصف التى تمر بالإنسانية من آن لآخر ، تبعدنى عن التسترى ، وعن التفسير الصوفى ، تبعدنى عنه فى المكان ، وتبعدنى عنه فى الجو الروحى ، وطويت صحف التسترى بل زالت من نفسى — وأرجو أن يكون ذلك مؤقتا — الطاقة الدافعة التى كانت تحفزنى على الكتابة عنه . وعند ذلك تذكرت الرؤيا ، وتذكرت « توفيق » وهو يقول : « اترك كل شىء واكتب عن أبى الحسن الشاذلى » .

ومضت أسابيع لم أشتغل فيها إلا بالقراءة السهلة فى مختلف الموضوعات كيفما اتفق .

وفى خلال هذه الأسابيع أخذ الانفعال الذى سببه تذكر الرؤيا ، والرؤيا نفسها ، يزول من نفسى شيئاً فشيئاً ، وبمرور الزمن لم تعد الرؤيا فى بؤرة الشعور وأصبحت فى الهامش البعيد .

ثم رأيت ـ ولست أدرى الآن كيف جاءت الفكرة حينئذ ـ أننى كتبت فيما مضى ، فى فترات متباعدة ، عن موضوع « الإيمان » وأن هذا الموضوع ـ وقد فكرت فيه فيما مضى وكتبت فى زوايا منه ، وتحدثت عنه فى الإذاعة وفى التليفزيون ـ يسهل على تناوله بالبحث والدراسة ، ويتيسر أن أعود فيه إلى المراجع من جديد ، وإلى ما كتبت ، فأنسق وأضيف ، وأحذف وأزيد آملا أن أنشر دراسة لعلها تفيد فى العصر الحاضر .

وذات يوم أخذت بعض المراجع عن موضوع الإيمان فى رحلة إلى الريف آمل أن أجد فى هدوء الريف وصفائه ما يساعد على التركيز الذهنى والسرعة فى إنجاز الموضوع ، وكنت مع بعض الأصدقاء . . ونزلنا من السيارة ـ سيارة أجرة ـ أمام القرية ، وعادت السيارة من حيث أتت ، عادت وبداخلها المراجع ، ولم نتذكرها إلا بعد أن أصبحت السيارة بحيث لا أثر لها من رقم أو عنوان ، أو غير ذلك من آثار ؛ وكما تذكرت الرؤيا عند عاصفة التسترى ، تذكرتها عندما أصبحت السيارة لاعينا ولا أثرا :

« اترك ما بيدك واكتب عن الشاذلى » .

وقلت فى نفسى لنكتف بهذه الدروس ولنبدأ — والله المستعان وبه التوفيق — بالشاذلى ثم يكون ما يريده الله بعد ذلك من مؤلفات ، وعدت إلى الشاذلى ووجدت المراجع مستكملة :

المراجع الأصيلة .

والمراجع الثانوية .

وكتب الطبقات .

وجدت المراجع القديمة والمراجع الحديثة .

لقد وجدت كل ما أحتاج إليه عن الشاذلى فى متناول يدى . ووجدت العمل ميسرا سهلا ووجدت الصدر منشرحا والحمد لله .

هذه قصتى مع أبى الحسن رويتها كما حدثت دون زيادة أو نقص .

ولقد كان لأبى الحسن أثر هائل فى هداية الناس على مر الزمن . لقد كان له أثر ينتقل أريجه الزكى من شخص إلى شخص ، ومن عصر إلى عصر حتى وقتنا الحاضر ، ولقد بدأ هذا الأثر بالثمرة اليافعة فى العارف بالله ، القطب الكبير أبى العباس المرسى وفى من حول الشيخ من أصدقاء ومريدين وأسلم أبو العباس المشعل — مشعل الهداية — إلى شيخ العلماء وشيخ الصوفية فى عصره : ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم التى قال عنها أحد كبار العلماء : كاد الحكم أن يكون قرآنا ، رضى الله عنه .

لقد حمل ابن عطاء الله المشعل فأنار به من حوله واستنار به من بعده ، وبقى النور للآن فى كتبه يضىء الطريق للسالكين وبقى متنقلا من جيل إلى جيل يشير بسنائه إلى أبى الحسن كمنبع من منابع الهدى وكعلم من الأعلام الذين اتبعوا هدى الله فى كتابه العزيز واقتفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولا وعملا واتخذوه أسوة فى سلوكهم فى اليسير من الأمور والعظيم منها .

لقد بقى نور أبى الحسن للآن ، وإن المدرسة الشاذلية الحديثة فى عصرنا الراهن بقادتها وهم كالنجوم وبمريديها يسيرون فى ضوئهم لخير دليل على الأثر الضخم الذى تركه أبو الحسن رضى الله عنه .

يقول الله تعالى :

سنكتب ما قدموا وآثارهم

وما من شك فى أن آثار أبى الحسن ستملأ سجلات وسجلات بمن هداهم الله إلى سلوك طريق الحق على يديه وعلى يدى أتباعه سلسلة بعد سلسلة إلى ما شاء الله .

ولقد رأينا بمشيئة الله ، أن نبين فى وضوح أثر الإمام الشاذلى فى العصر الحديث ، خاصة ، فتخطينا القرون ، منذ أن دعا الشاذلى إلى الله ، حتى وصلنا إلى القرن الرابع عشر الهجرى .

والقرن الرابع عشر الهجرى مليىء بالمقربين من أعلام الشاذلية ، الذين أرضوا الله ورسوله فتخلقوا بأخلاق الله واتبعوا سنة رسوله ، ولـكننا تخيرنا ، بتوفيق الله ، من بين أولياء الله المقربين شيخين جليلين : لاتصالنا بهما عن قرب ، وكان هذا الاتصال هو السبب فى اختيارهما .

أحدهما من أوربا : فرنسى ، من أعماق فرنسا ، عاش شبابه فى باريس ثم تابع حياته فى القاهرة ، يعرفه الغرب كله : أمريكا وأوربا ، لأنه من نابهى قادة الاتجاه الصوفى الأصيل ، يذكره المؤرخون للأديان ، ويذكره المتصلون بالروحية ، ويذكره أئمة الدعاة إلى إصلاح الحضارة الحديثة ، والسمو بها إلى المستوى المثالى : إنه العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى .

وهو من الذين أخذوا العهد الشاذلى ، أخذه على يد العارف بالله المرحوم الشيخ سلامة الراضى . إن الـكبار فى السن من أتباع الشيخ سلامة الراضى عليه رضوان الله ، لايزالون يذكرون ذلك « الشيخ » الأوربى ، بجبته الخضراء ، وعمامته البيضاء ، وقامته الفارعة الأقرب إلى النحافة منها إلى السمنة ، ولا يزالون يذكرون وجهه المشرق بالنور ، وسمته الملائـكى ، ومشيته الوقورة ، وجلوسه بين يدى الشيخ متواضعا مهذبا محاولا أن يسكت كل

سائل فى تلطف ظاهر ، حتى يستمر الشيخ فى حديثه منطلقا مع المدد لا تحد حدود الأسئلة ولا ينزل به مستوى الأفهام البشرية ، إنه شاذلى من الغرب : عن هذا الشاذلى سنكتب الباب الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله .

والثانى شاذلى من الشرق : وعنه سنكتب إن شاء الله ، الباب الثالث، إنه العارف بالله ، الشيخ عبد الفتاح القاضى ، وهو برهان واضح على قوله عليه الصلاة السلام : « الخير فى وفى أمتى إلى يوم القيامة » .

وعلى قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه البخارى باسناده عن معاوية : لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

لقد استمسك الشيخ عبدالفتاح القاضى بالحق منذ سنة للمبكره : استمسك به فى الصورة القرآنية التى أتقنها حفظا وعلما وعملا ، واستمسك به فى الصورة النبوية التى أحبها روحا وسلوكا ، وتأسى بها حسا ومعنى ، واستمستك به فى صور الصالحين وسلوكهم .

لقد جاهد ، واختلى ، وذكر ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام ، وصلى ، واستمر على ذلك مواصلا ليله بنهاره حتى استوت سفينته على الجودى ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، ثم انبسط فى الخلق هادياً ومرشداً ، وفى المريدين مهذباً ومعلماً وقائداً إلى الله سبحانه .

لقد جاهد فى الحياة هادياً إلى الله فكان كوكباً تألق فى سماء الروح ، وانعكس ضوؤه على أتباعه ومريديه .

إنه باق بروحه فى هؤلاء الدعاة إلى الله الذين يجمعهم كل يوم مسجدالقاضى بشبلنجة . هذا المسجد الرائع الذى وضع الشيخ رسمه فاشترى أرضه وتم المسجد

بعد وفاته وبقى أثراً من آثاره . ونرجوا من الله التوفيق فيما نكتبه عن إمامنا الشاذلى وعن تابعيه .

ولقد اقتصرنا فى أحزاب الشاذلى ـ معتمدين ـ على ما أورده ابن الصباغ فى درة الأسرار وما أورده ابن عطاء الله فى لطائف المنن . بيد أن بعض إخواننا طلب فى إلحاح أن نضع ضمن الأحزاب حزب اللطف على الأقل .

والواقع أن هذا الحزب الجليل يدل بأسلوبه وبروحه على أنه للإمام الجليل ومن أجل ذلك ، ودون أن نخل بما التزمناه عمداً ، فإننا نلبى فى سرور رغبات الأصدقاء .

وسيجد القراء حزب اللطف باعتباره من أوراد الشيخ القاضى .

ونعتذر إلى الأصدقاء إذ فعلنا ذلك : رعاية لما التزمناه .

وسيجد القراء مجموعة من نصائح الإمام الشاذلى : نوردها بعد أحزابه وهذه الوصايا ذكرها الكمال الدميرى عند الكلام على الإنسان ، وقد نقلناها عن الكتاب المبارك .

« المختصر فى معانى أسماء الله الحسنى » للأستاذ محمود سامى بك ، الذى قال عنها : إنها جمعت خير الدنيا والآخرة .

ونحن لا نعتقد أن هذه الوصايا قد ألفها الإمام الشاذلى مجموعة مرتبة على وضعها فى الكتاب ، بل قد جمعها ـ فيما نرى ـ أحد أتباع الإمام من دروه المتناثرة هنا وهناك ، أو جمعها الكمال الدميرى نفسه ، وهى على كل حال من نفيس كلام أبى الحسن .

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل وأن ينفع بهذا الكتاب كما نفع بأبى الحسن ، وأن يهدى له ويهدى به إنه قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

البابُ الأول

أبو الحسن الشاذلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . .

— ١ —

فيقول الشيخ أبو العباس ، رضى الله عنه ، كنت مع الشيخ أبى الحسن بالقيروان :

وكان شهر رمضان .

وكانت ليلة جمعة .

وكانت ليلة سبع وعشرين .

فذهب الشيخ إلى الجامع ، وذهبت معه .

فلما دخل الجامع ، وأحرم ، رأيت الأولياء يتساقطون عليه ، كما يتساقط الذباب على العسل ، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ :

ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة ، وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول :

يا علىّ طهر ثيابك من الدنس ، تحظ بمدد الله فى كل نفس .

قلت يارسول الله :

وما ثيابى ؟

قال : أعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع : خلعة المحبة ، وخلعة المعرفة ، وخلعة التوحيد ، وخلعة الايمان ، وخلعة الإسلام .

فمن أحب الله هان عليه كل شىء .

ومن عرف الله، صغرلديه كل شىء .

ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً .

ومن آمن بالله أمن من كل شىء .

ومن أسلم لله قل ما يعصيه ، وإن عصاه اعتذر إليه ، وإن اعتذر إليه قبل عذره .

ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل :

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (١) .

ويقول ابن عطاء الله عن أبى الحسن الشاذلى :

« لم يختلف فى قطبانيته ذو قلب مستنير ، ولا عارف بصير » .

جاء فى هذا الطريق بالعجب العجاب ، وشرع فى علم الحقيقة الأطناب ، ووسع للسالكين الرحاب ، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتى الإسلام تقى الدين محمد بن على القشيرى رحمه الله ، يقول :

«ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، رضى لله عنه» اهـ .

وإذا كان هذا هو رأى مفتى الإسلام تقى الدين القشيرى ، فإن الشيخ مكين الدين الأسمر يقول :

مكثت أربعين سنة يشكل على الأمر فى طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ،

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء الله ص ٤٨ الطبعة التونسية .

ويزيل عنى إشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فأزال كل شيء أشكل على[٢] ،

ولما قدم بعض الدالين على الله إلى الإسكندرية ، والتقى به الشيخ مكين الدين الأسمر قال :

« هذا الرجل يدعو الناس إلى باب الله ، وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله » .

على أن الشهادة التى يقدرها حق قدرها أهل الباطن، وأهل الظاهر ،وأهل الحقيقة ، وأهل الشريعة ، إنما هى شهادة شيخ الإسلام العز بن عبد السلام : يقول ابن عطاء الله فى لطائف المنن :

« اخبرنى الشيخ العارف مكين الدين الأسمر رضى الله عنه قال :

حضرت بالمنصورة فى خيمة فيها الشيخ الإمام مفتى الأنام : عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ مجد الدين بن تقى الدين على بن وهب القشيرى المدرس ، والشيخ محيي الدين بن سراقة ، والشيخ مجد الدين الاخميمى ، والشيخ أبو الحسن الشاذلى ، رضى الله عنهم ، ورسالة القشيرى تقرأ عليهم ، وهم يتكلمون، والسيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم ، فقالوا :

يا سيدى نريد أن نسمع منك ، فقال :

أنتم سادات الوقت وكبراؤه ، وقد تكلمتم ، فقالوا :

لا بد أن نسمع منك .

قال : فسكت الشيخ ساعة : ثم تكلم بالاسرار العجيبة ، والعلوم الجليلة ؛ فقام الشيخ عز الدين ، وخرج من صدر الخيمة ، وفارق موضعه ، وقال :

اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله » اهـ :

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء الله ص ٥٨ الطبعة التونسية .

إن كلام أبى الحسن قريب العهد من الله على حد تعبير العز بن عبد السلام ، أى أن كلامه الهام من الله ، إنه ليس علماً مكتسبا من الكتب ، إنه ليس تقليداً ولا توليداً ، إنه ليس نتيجة دراسة وبحث ـ وإن كان الشيخ قد أطال الدرس والبحث ـ وليس ثمرة كتب ومنطق ـ وإن كان الشيخ قد أطال النظر فى الكتب ، وأنعم الروية فيها ـ وإنما هو الهام وبصيرة ونور من نور الله سبحانه.

ومع بلوغه هذه المنزلة ، أو بسبب بلوغه هذه المنزلة كان يقول :

من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا إلى ربه ، وتواضعا لخلقه ، فهو هالك .

ويقول : لا تركن إلى علم ولا مدد وكن بالله ، واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس ، وانشر علمك ليصدقك الله تعالى .

— ٢ —

ولعلنا بعد هذا نريد أن نعرف شيئاً عن هذا الذى يقول عنه العز بن عبد السلام : إن كلامه قريب العهد من الله .

إنه على بن عبد الله بن عبد الجبار . . وينتهى نسبه إلى سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب .

ولد ببلاد المغرب سنه ٥٩٣ هـ : بقرية تسمى « غمارة » (١) .

وأخذ يدرس بها العلوم الدينية : وسائل وغايات ، وبرع فيها براعة كبيرة .

يقول ابن عطاء الله السكندرى عنه :

أنه لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة فى العلوم الظاهرة .

بيد أن هذه العلوم الظاهرة مهما بلغت بها الدقة ، ومهما بلغ بها العمق ، لا تفضى بالنفوس الطموحة إلى الكف عن التطلع نحو عالم الغيب ، واستشراف آلائه وأنواره .

(١) بلدة مغربية : قريبة من مدينة سبته .